Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (1) July(2024)
ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

العاذلة في شعر ابن المعتز_ دراسة وصفية تحليلية_

م.د. حسام الدين فلاح محمود
ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

Blame In the poetry of Ibn al-Mu'tazz

M.D. Husam El-Din Falah Mahmoud
Dhsamaldlymy@gmail.com

الملخص

إن العاذلة في الشعر تعني الصوت الآخر الذي يستحضره الشاعر؛ ليحاوره ويكون هذا بمثابة النفس اللوامة له لما تحمل من قناعات ومبادئ قد لا تتلائم مع قناعات وقيم المعذول، وعبر هذه الظاهرة قد أظهر عذل ابن المعتز قدرته على التعبير عن مشاعر الحب والفراق بشكل صادق ومؤثر، فضلا إظهار الجوانب الإيجابية التي تدعو إلى الحكمة، والسلبية التي تشمل شرب الخمر، وقد اقتضى أن تكون لهذه الدراسة مبحثان وخاتمة، وكان المبحث الأول بعنوان:(ابن المعتز العالم والشاعر)والمبحث الثاني ظاهرة العاذلة_ المفهوم والدلالات_))، والمبحث الثالث: ((العاذلة في شعر ابن المعتز الثوابت والدلالات))، ثم الخاتمة ، وقائمة تلتها بالمصادر والمراجع.**الكلمات المفتاحية : (العاذلة ، ابن المعتز، الناقدة)**

Abstract

The voice in poetry means the other voice that the poet conjures; To dialogue with him, and this would be like the soul blaming him for the convictions and principles he holds that may not be compatible with the convictions and values of the one who is being blamed. Through this phenomenon, Ibn al-Mu’tazz’s admiral has demonstrated his ability to express feelings of love and separation in an honest and effective way, as well as showing the positive aspects that call for wisdom, and the negative aspects that call for wisdom. It includes drinking alcohol, and this study was required to have two sections and a conclusion. The first section was entitled: ((Ibn al-Mu'tazz, the scholar and poet)), the second section ((The phenomenon of al-Adhla - concept and connotations_)), and the third topic: ((Al-Adhala in the poetry of Ibn al-Mu'tazz, constants and connotations)), then the conclusion, followed by a list of sources and references.
Keywords: (Al- Blame, Ibn Al-Mu'tazz, Al- critic

مقدمة

تجد في هذا النوع من الشعر يستحضر فيه الشاعر صوتا آخر غير صوته المباشر؛ ليحاوره وهذا الصوت بمثابة النفس اللوامة له، ولهذا تجدها تفرض قناعات ومبادئ غالبا لا تتلائم مع قناعات وقيم المعذول، وتتمثل غالبا بصيغة الحوار(١).ويلحظ العذل الذي يواجهه قد يصدر من امرأة؛ لأن اللوم والملاحاة والعذل أقرب إلى نفوس النساء إلى الرجال، وربما يدور حول مواقف من بعض القضايا الاجتماعية مثل شرب الخمر، أو الشيب وغيرها، ولابد من الإشارة إلى ان عصيان العاذلة من مفاخر الشعراء؛ إذ صرحوا برفضهم وعنادهم لعواذلهم، وعدم الإذعان لهم، وهذا دليل على ثبات إيمانهم بأفكارهم واعتزازهم بسلوكهم، ومن الجانب الفني تجد الكلاسيكية فقد اتبع شعراء العصر الإسلامي والأموي والعباسي الشعراء الجاهليون هذا التقليد.إن شعر ابن المعتز كأحد أهم نماذج الشعر العباسي؛ فإنه ينماز بتنوع موضوعاته وجماله الفريد، ومن بين هذه الموضوعات ظاهرة "العذْل" فقد احتلّت مكانة بارزة في شعره؛ إذ عبّر عن طريقها مشاعره تجاه المرأة، والشكوى من جفاء الحبيبة، والتعبير عن رغبة العاشق في اللقاء، وغيرها.ولابد من الإشارة إلى أن ظاهرة العذل في شعر ابن المعتز انمازت بالصور الشعرية اللافتة للإنتباه، وذلك عبر استعماله للتشبيهات والاستعارات الجميلة، ووصفه الدقيق لأحاسيس العاشق ومشاعره، فضلا عن سلوبه الذي اتسم بالقوة والجزالة، وقدرته على التعبير عن مشاعره بشكل صادق ومؤثر عبر تجربته الشعرية والشعورية.لقد تأثّر ابن المعتز بشكل كبير بالشعر العربي؛ إذ ساهم في تطوير هذا الموضوع وتنويع

أساليبه، وأصبح نموذجًا يُحتذى به من قبل الشعراء اللاحقين، كما أظهر غزل ابن المعتز قدرته على التعبير عن مشاعر الحب والفراق بشكل صادق ومؤثر، ممّا جعله من شعراء الغزل في تاريخ الأدب العربي.لقد اقتضى أن تكون لهذه الدراسة مبحثان وخاتمة، وكان المبحث الأول بعنوان: ((ابن المعتز العالم والشاعر))، والمبحث الثاني ((ظاهرة العاذلة_ المفهوم والدلالات_))، والمبحث الثالث: ((العاذلة في شعر ابن المعتز الثوابت والدلالات))، ثم الخاتمة ، وقائمة تلتها بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول ((ابن المعتز العالم والشاعر))

أولا: ابن المُعْتَزّ اسمه ونشأته :أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، (296 – 247هـ): الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة [٢]، ولد في بغداد، ونشأ فيها بعيداً عن البلاط ودسائسه، حتى استخلف المقتد، وثار عليه بعض رؤساء الجند والكتاب فخلعوه وحملوا ابن المعتز إلى العرش وبايعوه بالخلافة، ولقبوه المرتضى بالله، غير أن خلافته لم تدم إلا يوماً وليلة، ذاك بأن أنصار المقتدر لم يلبثوا أن تغلبوا على أنصاره وفتكوا بهم، وأعادوا صاحبهم إلى عرشه، ففر ابن المعتز واختبأ في دار ابن الجصاص التاجر الجوهري، فأخذه المقتدر وسلّمه إلى مؤنس الخادم، الذي مثل دوراً شهيراً في أيام العباسيين، فقتله وبعث به جثة هامدة إلى أهله، فلفوه بكساء ودفنوه في خربة قرب داره [٣].اقتبس ابن المعتز آداب العرب وعلومهم من أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب ، فخرج شاعراً مطبوعاً جيد القريحة، رفيق الألفاظ والمعاني؛ إلا أن ثقافته كانت عربية صرفاً، فلم تتأثر نفسه بالنهضة الفكرية العباسية، ولا بالثقافة الجديدة، وإنما كان تأثيرها بما كان يكتنف حياة الشاعر الملكية من جمال مادي؛ حياة أحاطت بها مجالس أنس، ولهو ومعازف طرب، وقيان ، وحلي وحلل، وجواهر ، فظهرت صور هذه الحياة، على تنوعه، في شعر عبقت منه رائحة الطيب والخمر، وتجلت فيه نعومة العيش وترفه [٤].

ثانيا: مؤلفاته : صنف كتبا، منها: الزهر والرياض، و البديع، والآداب، والجامع في الغناء، والجوارح والصيد، وفصول التماثيل،وحلى الأخبار، وأشعار الملوك، وطبقات الشعراء، وديوان شعر [٥].

ثالثا: منزلته العلمية وشاعريته:

أ. **منزلته العلمية**: إن ابن المعتز منزلة كبيرة في البيان العربي؛ فقد ألف فيه كتابه "البديع" الذي عدَّد فيه شتى أساليب ومحاسن الشعر كما عرفها ابن المعتز وعصره. وهذا الكتاب ليس قاصرًا على البديع بالمعنى الضيق المحدود؛ لأن ابن المعتز يذكر فيه التشبيه والاستعارة وهما من صميم البيان العربي، ويذكر فيه الكناية؛ ولكنه يريد بها معناها اللغوي، وهو أهم من المعنى الاصطلاحي المعروف. فإذا قلنا: إن ابن المعتز ألَّف في البيان، فقد سرنا في الحق والتفكير السليم، وإذا قلنا: إنه ألف في البديع، فقد ضيقنا دائرة البحث بغير مبرِّر، وإن كان البديع في الاصطلاح المتأخر جزءًا من البيان، وإن كان البديع بالمعنى القديم المعروف عن بعض علماء البلاغة يرادف كلمة البيان أو البلاغة[٦].وجاء كتاب علم البديع ردًا على الحركة الشعوبية التي قام بها أصحاب الأصول الفارسية، وهي حركة تسعى إلى تمجيد تراث فارس، واحتقار العرب ونتاجهم، فادّعوا أن ليس للعرب نتاج أدبي ولا بلاغي أصيل، وأن كل ما قدمه العرب في شعر ونثر هو نتيجة انتفاعهم بتراث الفرس، فليس للعرب حسب ادعائهم أي تراث بلاغي، وكل ما عرفوه في أبواب علم البلاغة جاء من عند الفرس[٧]ويقول الحموي: ((وتبدأ علوم البلاغة بالاستقلال، بعضه عن البعض الآخر، أيام الخليفة ابن المعتز الذي ألف "كتاب البديع" فكان، بحق، مؤسسا لما يعرف اليوم بهذا الاسم، وجاء بعده قدامة بن جعفر، في كتابه "نقد الشعر" ليزيد علم البديع توضيحًا، وليضيف إلى مصطلحاته وفنونه جديدًا، فليقتي مع ابن المعتز في خمسة محسنات بديعية، كان هذا الأخير قد عرفها، مع اختلاف في التسمية، ويزيد قدامة إليها تسعة محسنات جديدة لم يذكرها ابن المعتز..... وإذا كان ابن المعتز قد توصل إلى معرفة ثمانية عشر نوعًا من أنواع البديع، زاد عليها قدامة تسعة أنواع، فإن أبا هلال العسكري قد بلغ بها واحدًا وأربعين نوعًا، أي بزيادة أربعة عشر نوعا على ما كان عرف قبله)) [٨].وقد كانت له عناية خاصة بالتشبيه ، وكان يقول : ((إذا قلت كان ولم آن بالتشبيه بعدها فض الله فمي)) [٩].أن تشابيهه وإن تكن ميزنه من سائر شعراء عصره بما فيها من دقة تعبير عن الصور الذهنية، بصور مادية محسوسة، ملونة، ينقص أكثرها الحياة فيه، حتى ليبدو مادياً أكثر منه روحانياً، لا ينبض ويشوبه أثر الصنعة الظاهر القلب العاطفة حنون فيه، وإنما هو مشغلة للخيال، ومدعاة إلى الإعجاب ولم يكن شاعرنا ممن يقيد قريحته بموضوع واحد، وإنما كان يطلق لها الحرية، فتنتقل من موضوع إلى آخر، ولما لم يكن له من عبقريته ما يستي له الابتكار والتوليد اجمل نفسه على التوكو على آثار الأقدمين ومن سبقه من المولدين، فتراه مثلاً في وصف الربوع الخالية ووصف الفرس والمطر يتقفى تخطى امرىء القيس: ويسير في وصف الخابية الكلفاء، والكرمة ومياه الفرات التي تسقيها على خطى الأخطل، ويتأثر ابن أبي ربيعة في زياراته الليلية وأبا نواس في وصف مجالس اللهو، والحمرة وكؤوسها، والصيد وكلابه وبزاته: غير أنه وإن لم

يلحق بمن أخذ عنهم كان يحلي ما أخذه بجمال تشابيهه، ويزينه برشاقة تعابيره المزوقة. [١٠]وقال فيه كرم البستاني: ((ولا بد من الإشارة إلى تفوقه في التشابيه التي يستقيها من و ماعون بينه على حد قول ابن الرومي فيه. وفي التشابيه الدقيقة التي لم تخطر على بال غيره كتشبيهه الهلال بزورق من فضة حمولته من عنبر ، أو بقلامة قدت من الظفر : هذه التشابيه البديعة ، التي لا يرى لها مثيل في شعر سواه من شعراء زمانه ، هي التي أكسبته لقب ، أمير الشعر الخيالي)) [١١]ومن الابتداع سمى ابن المعتز براعة الاستهلال، حسن الابتداء، وفي هذه التسمة تنبيه على تحسين المطالع، وإن أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء[١٢]

ب. شاعريته وثقافتهأخذ عبدُ الله بن المعتزّ العربيّة على كبار شيوخها في عصره، وحسبك أن يكون المبرّدُ، صاحبُ الكامل، في صدارتهم؛ فعرف ظاهرها وخفيّها، وأدرك أسرارَ البيان فيها، وتعلم طرائقَ القدماء والمحدثين في الإعراب، ولمّا كان قد نشأ على ملكة الشعر ؛ فأصبح يحبّه، ويحفظه، ويروم نظمه؛ فقد زاول ذلك حتّى تمكّن منه ، وصار طوعَ لسانه يصرّفه حيث يشاء، ويقوله في شتّى أغراضه، وقد غلَبت عليه المدينةُ وحضارتها المترفة فألقت بألوانها على شعره. وإذا كان قيل فيه هو : ((شاعر مفلق محسن حسن الطبع، واسع الفكر كثير الحفظ والعلم يحسن في النظم والنثر ، من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم، ومن نشأ في الرواية والسماعة، يكثر في مجلسه من حدثنا وأخبرنا سمع من صعود صاحب الفراء، وأخذ عنه اللغة والغريب، وعن أعراب فصحاء كانوا يقدمون سر من رأى، وسمع عن أحمد بن أبي فنن، وعن الحسن بن عليل العنزي. وما رأيت عباسياً قط أجمع منه ولا أقرب لساناً كان من قلب، وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم وكان أبو العباس محمد بن يزيد المبرد يجيئه كثيراً ويقيم عنده، وكان ذلك سائغاً لمحمد بن يزيد لكثرة مجيئه إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي، وقرب القاضي من منزل ابن المعتز)) [١٣] فهو مطبوع ليس متكلفًا ولا متعملًا في شعره، وهو يؤثر السهل على الغريب، وهو حريص ما استطاع على جزالة اللفظ، وهو يُعنَى بهذه المعاني المترفة، التي تلائم حياته وبيئته، وهو شغوف بفن خاص من فنون الشعر، يظهر أنه قد تفوق فيه على الشعراء، وهو فن الوصف، والوصف المادي بنوع خاص، ووصف الأشياء المادية الجميلة التي تلائم هواه، وهو من أكثر الشعراء تشبيهًا، ومن أبرعهم في هذا التشبيه، وإن كان في شعره شيء من التكلف والبحث والغوص، فهو إنما ينفق هذا التكلف في إجادة التشبيه وإجادة الاستعارة، ولكنه ليس كأبي تمام وابن الرومي متعمقًا باحثًا عن المعاني العويصة، التي يكد الإنسان في فهمها ويجد مشقة في ذلك، إنما هو يبحث عن طرائف الأشياء، ووجوه تشبيهه قريبة، يفهمها كل إنسان في سهولة ويسر، وفي غير مشقة ولا عناء. ومن شاعريته حدث أبو بكر الصولي قال: كنت عند أبي العباس أحمد بن يحيى وحوله جماعة فجاء ابن المعتز يسلم عليه، فقام إليه وأجلسه مكانه، فداس قلما فكسره، فقال على البديهة:

لِكَفِّيَ وِتْرٌ عِنْدَ رِجْلِي لأَنَّها * أبادَتْ قَتيلاً ما لأَعْظُمِهِ جَبْرُ** [١٤]

وروى الصولي عنه أيضا قائلا: ((كنا يوماً نتغدى مع عبد الله بن المعتز وغلام يذب عنا، فأصابت المذبة رأس رجل على المائدة بالسهو من الغلام، فقال عبد الله من وقته:

قُلْ لِمَنْ ذَبَّ ذُبَّ نَفْسكَ عَنَّا * حَسْبُنا مِنكَ أوْ فَحَسَبْكَ منَّا))**[١٥]

وقال أيضا: ((دخلت يوماً على عبد الله بن المعتز وقد هدم أكثر داره وهو ينظر إلى الصناع وكيف يبنون قبة له، فكأني أشفقت من الغرم مع قلة الدخل، فأومأت بالقول إلى ذلك، فأنشدني مساعداً لي:

أَلاَ مَنْ لِنَفْسٍ وَأَشْجانِها * وَدارٍ تَداعَتْ بِحيطانِها**

أَظَلُّ نَهارِيَ فِي شَمْسِها * شَقِيّاً لَقِيّاً بِبُنْيانها**

تُسَوِّدُ وَجْهِي بِتَبْييضِها * وَتُخْرِبُ مالِي بِعُمْرانِها))** [١٦].

وذكر شاعريته أبو حيان التوحيدي في أن الشاعر وهو ابن المعتز ولاسيما في قوله:

ما بال صبحي لا يرى فجره * وما لدمعي دائم قطره**

أستودع الله حبيباً نأى * ميعاد دمعي أبداً ذكره**[١٧].

ونقل أيضا عنه فقال: ((سمعت ابن القصاب الصوفي يقول: اسمع وأسكت، وانظر وأعجب ابن المعتز: الرجز

مل سقامي عوده * وخان دمعي مسعده**

وضاع من ليلي غده * طوبى لعين تجده**

غلت من الدهر يده * قتالة من تلده**

يفنى فيبقى أبده * والموت ضار أسده**

يا من عناني حسده *** يقيمه ويقعده

فإنه في حلقه*** شجاً ولا يزدرده

سهرت ليلاً يرقده *** حظ الحسود كمده

قالوا قليل عدده *** من عار قل ولده

نقلت هذا من خط ابن المعتز)) [١٨]وفي الشكوى والعتاب ينقل الثعالبي قوله: ((وقال ابن المعتز: "ما أبين وجوه الخير والشر في مرآة العقل إن لم يصدها الهوى)) [١٩]لقد كان ابن المعتزّ من حسنات القرن الثالث الهجريّ؛ في الشعر، والكتابة، والتأليف، وصنع الجمال، والاحتفاء بمباهج الحياة، ولو قُدّر له أن يمتدّ به العمر لزاد في ذلك كلّه، لكنّ عمره طُوي قبل أن يستوفيه، وذهبت به الحوادث، وقد شهد هذا القرن شاعرين كبيرين انتهت إليهما مقادةُ الشعر في عصرهما؛ هما أبو تمّام، والبحتريّ؛ فإنّ ابنَ المعتزّ لا يقلّ عنهما غزارة، وتنوّعًا، وإجادة، ولعلّه أربى عليهما حين صاغ التاريخ شعرًا بأرجوزة طويلة تروي طائفة من حوادث الدولة العبّاسيّة على نحو بارع في التصوير المبين

المبحث الثاني ((ظاهرة العاذلة)) المفهوم والدلالات

❖ **العاذلة في اللغة**:إن العاذلة مشتق من باب عذل يعذل؛ فقد ذكر الفراهيدي في كتابه العين: ((عذل: عَذَلَ يَعْذِلُ عَذْلاً وعَذَلاً، وهو اللّوم)) [٢٠]، أما العذل عند الجوهري في الصحاح يعني الملامةُ، والاسم العَذَلُ بالتحريك، يقال: عَذَلْتُ فلاناً فاعْتَذَلَ، أي لامَ نفسه وأعتَبَ[٢١]،وَسُمِّيَ هَذَا عَذْلًا لِمَا فِيهِ مِنْ شِدَّةٍ وَمَسٍّ لَذْعٍ[٢٢]وقال ابن منظور: ((عذل: العَذْلُ: اللَّومُ، والعَذُل مثلُه. عَذَلَهُ يَعْذِلُه عَذْلًا وعَذَّلَه فاعْتَذَل وتَعَذَّلَ: لامَهُ فَقَبِلَ مِنْهُ وأَعْتَبَ، وَالِاسْمُ العَذَلُ، وَهُمُ العَذَلةُ والعُذَّالُ والعُذَّلُ، والعواذِل مِنَ النِّسَاءِ: جَمْعُ العاذِلة وَيَجُوزُ العاذِلات؛ ابن الأَعرابي: العَذْلُ الإِحْراق فكأَنَّ اللَّائِمَ يُحْرِق بعَذْله قلبَ المَعْذول)) [٢٣]وبعد هذه الرحلة اللغوية أقف على معنى اللوم الذي يشير إلى أن اللّائِمَ يُحْرِق بعَذْله قلبَ المَعْذول، ويبدو أنه سبب في تفجير مكامن الشاعر الحسية والوجدانية.

❖ **العاذلة في الاصطلاح**:لعب العاذلة دور الناقد الذي يعكس القلق الاجتماعي أو الأخلاقي حيال مشاعر الشاعر، وغالبًا ما تساهم في تسليط الضوء على شدة وقوة هذه المشاعر.إن الشاعر يحاول الهروب من إحساسه الحاد بالواقع النفسي الذي يموج بألوان الصراع مما يدفعه إلى سرد تجربة العذل رغبة في التخلص من هذا الواقع الذي لا الهروب منه والتعويض عنه[٢٤].وقد يشعر بالكبت بسبب منع النزعات النفسية من السير في طريقها الطبيعي، وهذا المنع لا يقضي عليها إنما تقل قوة متحفزة للظهور، ولكنها تبقى مختفية فيما يسمى باللاشعور [٢]، لذا نجد الشخص يحرص على أن يبدد هذه المخاوف عندما يحاول أن يقيض حديثاً عن ذاته، ويحدد أملاً في استعادة شخصيته أو توجيهها إلى المسار الطبيعي محاولة من التخفيف من حدة القلق، وتسكين الانفعالات المختلفة، ومنح الثقة في نفسه . وإن الشعراء والأدباء كثيرًا ما يتناولون في أعمالهم مسألة البحث عن الرضا والارتياح عبر تلبية حاجاتهم النفسية والاجتماعية؛ فقد يلجأ الشاعر إلى الطبيعة، الحب، أو التأمل الفلسفي؛ لتحقيق السلام الداخلي، مما يعكس لنا طبيعة هذه التجربة الإنسانية في مواجهة التحديات الداخلية.ويتبين مما سبق أن العذل قد يصدر من الذات لا الغير، فقد حرص الشاعر على إشباع حاجاته التي تثيرها دوافعه المختلفة، سواء كانت حاجات نفسية أو اجتماعية أو ربما تكون عضوية؛ ليحقق الرضا والارتياح، والقدرة على مواجهة مشاعره الداخلية التي تشمل الخوف، والقلق، واليأس، والحزن، على الرغم من اختلاف تغيراته من تلك المشاعر، فتتأرجح ما بين التصريح أو الاستتار وراء الرموز والمجازات مما يعكس مرونة في كيفية التعامل مع الضغوط النفسية ومحاولة التكيف مع الظروف المتغيرة.

المبحث الثالث ((العاذلة في شعر ابن المعتز الثوابت والدلالات))

تمثل هذه الظاهرة شخصية ناقدة أو ناصحة غالبًا ما تكون امرأة تلوم الشاعر على تعلقه أو حبه لامرأة معينة، وهذه الشخصية قد تكون جزءاً من مجاز أو حبكة شعرية تستعمل لإضفاء عمق على تجربة الحب والتعبير عن مشاعر.إن وجود العاذلة يضفي بُعداً من التحدي إلى قصة الحب، مما يجعلها أكثر تعقيدًا وإثارة، حيث تبرز مقاومة الشاعر لكل نصائح العذل أو النقد، مما يعزز من قوة مشاعره وتفانيه في حبه.والعذل هو دليل على صدق المشاعر؛ فتجد لجوء الشاعر إلى التحدي أو التبرير أمام العاذلة يُعد دليلاً على صدق مشاعره وعميق شغفه، مما يعطي قيمة إضافية لعواطفه، وتستخدم العاذلة لتمثيل العذاب الداخلي للشاعر؛ إذ تبرز حيرته ومعاناته أمام الحب المحظور أو المستحيل، العاذلة تعد المعادلة الموضوعية فهي السبيل الوحيد للتعبير عن العاطفة[٢٥]وعلى الرغم من وجود الحيرة والعذاب الداخلي تجد الثبات والولاء، ومقاومة العذل وانتقاداته مما تعكس لنا ثبات الشاعر على موقفه واستمراره في حبه، مما يبرز الولاء والوفاء العاطفي ، ومن هذه المعاني سأسلط الرؤية على المحاور الآتية:

❖ **أولا: العاذلة والغزل**: تمثل شخصية ناقدة وناصحة تواجه الشاعر وتلومه على حبه، مما يعزز من قوة المشاعر ويعطي العمق للقصيدة، وهذه الشخصية تساهم في تسليط الضوء على التوترات الداخلية للشاعر وتعزز من قيمة الحب الذي يعيشه، سواء كان هذا الحب حقيقيًا، أو مجرد أداة أدبية لتعميق المعاني الشعرية، ومن هذه المعاني قوله:

نَطَقَت مَناطِقُ خَصرِهِ بِصِفاتِهِ* وَاهتَزَّ غُصنُ البانِ مِن حَرَكاتِه**

وَدُهيتُ مِن خَطِّ العِذارِ بِخَدِّهِ* في صَدِّهِ وَالمَوتُ في لَحَظاتِه**

وَكَأَنَّ وَجنَتَهُ تُفَتِّحُ وَردَةً* خَجَلاً إِذا طالَبتَهُ بِعِداتِه**

وَحَياةِ عاذِلَتي لَقَد صارَمتُهُ* وَكَذَبتُ بَل واصَلتُهُ وَحَياتِه**(٢٦)

لقد استعمل ابن المعتز العذل كأداة درامية؛ لإثارة المشاعر والتوتر في القصيدة، مما يجعلها أكثر تشويقًا وعاطفية؛ فإنه وظّف ألفاظهُ في غرض الغزل مستعملًا بذلك الفنونَ البلاغية منها المجاز والتشبيه معبّرًا عن حالتهِ؛ فنرى في تصوير الشاعر المجازَ العقليّ في صدر البيت الأول, وكذلك تشبيه (الخصر) باهتزاز غصن البان؛ لأنّ قامتها طويلة ممشوقة؛ إذ تهتز بسهولة حتّى أنه دهى بسببها، ثمّ يعود إلى تشبيه الوجنة بتفتّح الورد إذا حدث منها الخجل؛ فمن طبيعة الإنسان احمرار وجنتيه عند الخجل حتى يصبح أشبه بالوردة الحمراءِ، وهذا تشبيه في محلّه فقد أحسن الشاعر ذاك الوصف والتشبيه، ثمّ يُقسم بـ (حياة العاذلة) بالتشديد والتقوية بأن يواصلهُ إلى مدى الحياة، وهذه إشارة إلى صدقه في هذا الحب .

وقوله أيضا:

أَعاذِلَ قَد أَبَحتُ اللَهوَ مالي* وَهانَ عَلَيَّ مَأثورُ المَقالِ**

دَعيني هَكَذا خُلُقي دَعيني* فَمالَكِ حيلَةٌ فيهِ وَلا لي**

وَيَومٍ فاخِتَيِّ اللَونِ مُرخٍ* عَزاليهِ بِطَلٍّ وَاِنهِمالِ**

رَبِحتُ سُرورَهُ وَظَلَلتُ فيهِ* بِرُغمِ العاذِلاتِ رَخِيَّ بالِ**

وَساقٍ يَجعَلُ المِنديلَ مِنهُ* مَكانَ حَمائِلِ السَيفِ الطِوالِ**

غُلالَةُ خَدِّهِ صُبِغَت بِوَردٍ* وَنونُ الصُدغِ مُعجَمَةٌ بِخالِ**

غَداً وَالصُبحُ تَحتَ اللَيلِ بادٍ* كَطِرفٍ أَبلَقٍ مُلقى الجِلالِ**

بِكَأسٍ مِن زُجاجٍ فيهِ أُسدٌ* فَرائِسُهُنَّ أَلبابُ الرِجالِ**(٢٧)

واستعمل الشاعر – أيضًا– ألفاظًا غزلية رقيقة تُحاكي حقيقته التي يعيشها؛ فنجد أن غزلهُ عفيفٌ لايبالغ فيهِ فيعطي لكلّ حالةٍ حجمها؛ فحين يُشبّه ينقل في تشبيهاتهِ عن الطبيعة نقل المرآة التي تعكس الصورةَ بأدقّ التفاصيل دون تكبير حجم تلك الصورة المعنية سواء أكانت في التشبيه وغيره؛ فطبيعة الصورة التي ينقلها حيّة مبسّطة لها أبعادها تكاد تخلو من التكلّف والتعقيد، وهذا مانراهُ في شعرهِ كثيرًا؛ إذ إن الطبيعةَ أداةً لشعرهِ دونَ المبالغة والتصنُّع، وهذا ماينماز به عن بقية شعراء الغزل . وقوله :

وَأَحيا حَياةً بَعدَ سَلمى مَريضَةً* لَها عاذِلٌ في حُبِّ سَلمى وَعاذِرُ**

أَلا يا عِبادَ اللَهِ هَذا أَخوكُمُ ***قَتيلٌ فَهَل مِنكُم لَهُ اليَومَ ثائِرُ(٢٨)

واستعمل ابن المعتزّ ألفاظًا بلاغية جمّة في البيتين أعلاه , فهو يوظفها بأبهى صورة ممكنة، وهذا ينمّ عن خيالهِ الواسع في الوصفِ إذ يقول: وأحيا حياةً مريضةً بعد سلمى، حياةً كادت أن تموتَ لولا الحبّ الصافي الذي كان بمنزلة الشفاء لذلك الداء، ثم يعرج إلى استعمال فنّ الجناس غير التام وهو أحد فروع علم البديع بقولهِ: (عاذل وعاذر) اللذان لهما معنى مختلف مرتبط بحبّ سلمى الذي وقع بينهما، ثمّ يخاطب عبادَ الله مناديًا شاكيًا من العذلِ يرجوهم مستفهمًا قائلًا: (هذا أخوكم قتيل) يطلبُ الثأر لهُ؛ ليعودَ إلى حالتهِ الطبيعية بعد مشقة الحب وعنائهِ وقوله:

يا عاذِلي كَم لَحاكَ اللَهُ تَلحاني* هَبني لِبَدرٍ عَلى غُصنٍ مِنَ البانِ**

قَد مَرَّ بي وَهوَ يَمشي في مُعَصفَرَةٍ* عَشِيَّةً وَسَقاني ثُمَّ حَيّاني**

وَقالَ تَلعَبُ جُنّاباً فَقُلتُ لَهُ* مَن جَدَّ بِالوَصلِ لَم يَلعَب بِهِجرانِ**(٢٩)

يخاطب ابن المعتز العاذل بإبراز حقيقتهِ قائلًا: ياعاذلي قد قبّحك الله أتأتي بقبحٍ وتسلّطه عليّ، أعطِني لبدرٍ على استقامة فإنّي قد مللت العذل، ويصوّر في البيت الثاني مروره المُعصفر في مساء آخر النهار، وهو مرور منبوذ لا خير فيهِ، ثم يقول له: تلعبُ جنّابًا أي: تأتي بعد التحية منكَ التي لم تكن نابعةً من قلبكَ فيردّ عليهِ ابن المعتز: مَن يجدّ بالوصل مداومًا عليهِ فلا يتطرق إلى الهجران إن كان ذلك أمرًا حقيقيًّا خالصًا .

وقوله:

صَحا عاذِلي عَنّي وَلَم أَصحُ مِن ضَلّي* وَيا حَبَّذا شُرٌّ عَلى المَنعِ وَالبَذلِ**

وَهَبتُ لَها قَلبي فَلا تَطلُبوا دَمي* وَلَيسَ عَلَيها مِن فِداءٍ وَلا قَتلِ**

وَلَم أَرَ مِثلَ العاذِلينَ عَلى الهَوى* جَعَلتُ لَهُم شُغلاً وَخَلّاهُمُ شُغلي**(٣٠)

يقول ابن المعتزّ: قد صحا لائمي بعد غرقِهِ باللوم مدة من الزمن , وأنا لم أصحُ من التيهِ الذي راودني كثيرًا ؛ بسبب العذل الذي طغى عليَّ، كما يتمنّى ابن المعتز أن يتخلّصَ من اللوم ولو كانَ ذلك شرًّا فقد أُرهِقَ بسببهِ، ثمّ يقول: أعطيتُ لها قلبي جزاءَ حبّي لها وبالمقابل ينهى عن القتلِ؛ إذ ليس فدائيًّا هو كي يواجهَ نوائب الدهر، فهو لم يرَ مثل مرارة العذّال وقساوتهم في الهوى والحبّ كأنّ ذلك أشدّ من وقع الحسام على الرقابِ؛ فتركهم مشغولين بأمورهم، وتركَ أمرهُ لهُ وحدهُ **أما العاذلة وبيان حال العاشق** فتجد هنا ثنائية مثيرة ومؤثرة في شعر ابن المعتز؛ إذ عبر عن حاله العاطفي أمام لوم العاذلة، وإن حاله يعبر عن صراعه مع مشاعره، وتبريراته، ومعاناته العاطفية، وهذا الموضوع يعكس التعارض بين القيود الاجتماعية ورغبات الشاعر العاطفية.يظهر ابن المعتز تحديه للعاذلة واستعداده لتحمل اللوم من أجل الحفاظ على حبه، مما يعكس قوة عزيمته وإخلاصه، وكذلك إصراره على التعبير بحرية على الرغم من النقد والضغوط.

أَعاذِلَتي لا تَعذُلي عاشِقاً مِثلي* وَلَكِن دَعيهِ وَاِعذِري الحُبَّ مِن أَجلي**

وَنوحي عَلى صَبٍّ بَكَت عائِداتُهُ* صَريعِ قُدودِ البانِ وَالأَعيُنِ النُجلِ**

رَمَينَ فَلَمّا أَن أَصَبنَ مَقاتِلي* تَوَلَّينَ فَانضَمَّت جِراحي عَلى النَبلِ**(٣١)

هنا يخاطب ابن المعتز عاذلته مستعملًا أساليب الطلب كالأمر والنهي؛ لبيان حالتهِ في العشق؛ فهو عاشق جريح مُتعب من آثار اللوم الذي أطال سباته بهِ , فكأنه يتكلّم بقلبه معبّرًا عمّا يحول حوله من أهوال ثم يستدرك بأن تدع الحبّ معتذرةً من أجله , إذ لم يذق طعم الراحة يومًا طالبًا منها أن تنوح على مايؤلمهُ , فقد وصل به الحال إلى هرم الألم الذي هدّم قوّته .

وقوله:

يا عاذِلي في لَيلِهِ وَنَهارِهِ* خَلِّ الهَوى يَكوي المُحِبَّ بِنارِهِ**

وَيحَ المُتَيَّمِ وَيحَهُ ماذا عَلى* عُذّالِهِ مِن ذَنبِهِ أَو عارِهِ**(٣٢)

ويتابع بخطابهِ قائلًا: صاحب الهوى يُحرق مشاعر محبوبهِ؛ من شدّة اللوم المطعّم بالحب , فيتلوع من هذه الشدة حتى يضنيه الحب في المنافي , ويبقى صامتًا سائلًا نفسه ماذا بعد كلّ هذا ؟!لقد أظهر لنا هذا الموضوع قدرة الشاعر على التعبير عن ذاته ومشاعره بشكل حُر، مُؤكدًا على قوة الحب ورغبته في الحرية الشخصية.

❖ **ثانيا**: **العاذلة والشيب**: هي ظاهرة شائعة في الشعر العربي؛ إذ يتناول الشعراء موضوع اللوم على مشاعر الحب في ظل التقدم في العمر وظهور الشيب، والعاذلة في هذا السياق تلوم الشاعر على حبه أو علاقاته العاطفية، مستندة إلى تغيراته العمرية التي ترمزها ظاهرة الشيب، مما يضيف بُعدًا من الحكمة والوعي إن العاذلة تُستعمل لإبراز تناقضات الحب في مقابل الزمن؛ إذ يُظهر الشاعر ثبات مشاعر الحب الأبدية على الرغم من التناقضات والتغيرات الزمنية، والجسدية والدلالات العمرية، والشيب في الشعر العربي يرمز إلى النضج والتقدم في العمر، ومن هذه المعاني قال ابن المعتز:

أَعاذِلَ قَد كَبِرتُ عَلى العِتابِ* وَقَد ضَحِكَ المَشيبُ عَلى الشَبابِ**

رَدَدتُ إِلى التُقى نَفسي فَقَرَّت* كَما رُدَّ الحُسامُ إِلى القِرابِ**(٣٣)

يصور لنا الشاعر الشيب كمفهوم يرتبط بالنضج والحكمة؛ إذ يخاطب ابن المعتز مرّة أخرى عاذلَه وهو يقول: لقد عشتُ اللوم وأيّامه الطوال المليئة بالمرارةِ، وها أنذا كبرتُ ولم أعد احتمل الملامة أكثر من ذلك؛ فللعمر أحكامهُ، وحين وصلتُ إلى آخر العمر أيقنتُ أنّ العذل كانَ أمرًا تافهًا مفعمًا بإضاعة الوقت عبر تجارب مررتُ بها، وها هو المشيبُ يضحك على الشبابِ، فرددتُ نفسي إلى التقوى بعدَ أن خاضتِ العذلَ فطاوعت ماطلبتُ منها، وهنا شبّهَ عودة نفسهِ بعودةِ السيف الصارم إلى غمدهِ بعد عُمر قُضيَ .

❖ **ثالثا**: **العاذل والخمرة**: إن العاذل والخمرة هو موضوع شائع في الأدب العربي، ولاسيما في الشعر وعبر هذا السياق يقوم العاذل بدور الناقد أو الناصح الذي يلوم الشاعر أو الشخص المتحدث بسبب تعاطيه للخمرة، سواء من منطلق أخلاقي، اجتماعي، أو ديني، ويعكس هذا النقد عادةً صراعًا بين الرغبة في التمتع بالحياة والاستمتاع باللحظات وبين الأعراف الاجتماعية أو الأخلاقية التي تفرض قيودًا على مثل هذه التصرفات.

وترمز الخمرة إلى الاستمتاع بالحياة، والتحرر من القيود، والتجرد من المسؤوليات، وفي الأدب العربي غالبًا ما تمثل أيضًا الهروب من الواقع أو محاولة التمرد على الأعراف التقليدية، وبشربها تمثل هروب الشاعر من الضغوطات النفسية أو الاجتماعية، والعاذل يُمثل محاولة المجتمع لإعادة الشاعر إلى واقعه ومسؤولياته، ومن هذه المعاني قال الشاعر:

أَعاذِلُ دَع لَومي وَهاكَ وَهاتِ*** هَلِ العَيشُ فَاِصدُق غَيرَ ذا بِحَياتي
تَصَدَّق عَلى المِسكينِ مِنكَ بِقُبلَةٍ*** فَإِنّي أَراها أَصدَقَ الحَسَناتِ
يُعاطيكَ خَمراً مِن فَمٍ قَد شَرِبتَها*** هِيَ الخَمرُ حَقّاً لا اِبنَةُ الكَرَماتِ
أَعاذِلُ إِنّي لا أُعاجِلُ تَوبَةً*** وَلَستُ أُلاقي تَوبَةً بِأَناتي
وَراحٍ تَلَقَّيتُ الصَبيحَ بِكَأسِها*** وَقَد سارَ جَيشُ الصُبحِ في الظُلُماتِ
وَنادَيتُ يَحيى فَاِستَجابَ وَطالَما*** كَسا جِسمَها مِن فَضَّةٍ حَلَقاتِ
سُلافَةُ كَرمٍ فُجِّرَت في عُروشِها*** جَداوِلُ ماءٍ مِن خَليجِ فُراتِ
فَلَمّا تَدَلَّت كَالثُدَيِّ وَأَصبَحَت*** عَلى القَصَبِ المَعروشِ مُنبَعِثاتِ
أُضيفَت إِلى قارِيَّةٍ خَزَفِيَّةٍ*** مُصَبَّغَةٍ بِالطينِ مُعتَجِراتِ(٣٤)

يصوّر ابن المعتز اللومَ بأسلوب طلبي؛ نظرًا لِما يعيشه من حالات تجعلهُ يكلّ ويملّ تلك الحالة، ثم يتبع ذلك باستفهام إنكاري منفيّ (هل العيش ...؟)، ثم يأتي بطلب آخر غرضه الغزل بقوله: تصدّق بقبلة، ويشبهّها بالخمرة التي تسكّر العاشق الولهان، وكأنّه يبدو عطشانَ لتلك القبلة؛ ليفرغ من آهاتهِ التي جعلتهُ لقمة في فم اللوم واللائمين؛ فيودّ أن يتعاطى القبلة كما يتعاطى الخمر، ولا يريد إعلان توبته في هذا القبيل مادام هو في حالة العشقِ، ونراه يكثر من التشبيه في ذلك، وهذا ماجعلَ شعرهُ يحتلّ مكانة مميزة باقتنائه الألفاظ المناسبة .وقوله:

لا عُذرَ لِلعاذِلِ في الكاسِ*** فَما أَرى في الكاسِ مِن باسِ
وَيلي مِنَ الناسِ وَمِن لَومِهِم*** ما لَقِيَ الناسُ مِنَ الناسِ
مُهَفهَفِ الخَصرِ هَضيمِ الحَشا*** مُشَوَّقٍ بِالوَعدِ مَكّاسِ
وَقامَ في العاتِقِ مَنديلُهُ*** يُديرُ كَأساً بَينَ جُلّاسِ
وَيَدخُلُ الآذانَ مِن أَمسِهِ*** مِن تَحتِ إِكليلٍ مِنَ الآسِ
وَشَمَّرَ الذَيلَ إِلى خَصرِهِ*** وَحَثَّنا بِالرَطلِ وَالكاسِ
وَطالَما عَذَّبَني هَجرُهُ*** وَوَكَّلَ القَلبَ بِوِسواسِ
لَمّا أَتَتني رُسُلُه بِالرِضا*** أُنسيتُ ما مَرَّ عَلى راسي
وَلَم أَزَل وَاللَيلُ سُترٌ لَنا*** مِن دونِ رُقابٍ وَحُرّاسِ
أَشكو إِلى غَمزَةِ عَينَيهِ ما*** قاسَيتُهُ مِن قَلبِهِ القاسي
في لَيلَةٍ ما مِثلَها لَيلَةٌ*** لَستُ لَها ما عِشتُ بِالناسي(٣٥)

ويواصل ابن المعتز غزلهُ التشبيه بالخمرة، فحين يتعاطى القبلة فإنه يصل إلى مرحلة العتق والخلاص من حالة اللوم، فنراه يجسّد مراحل انتقال الغزل من حالة إلى أخرى، ثم يُبدي تصويره الشعري بأنه يصل إلى النشوة التي يتمناها حتى ينسى كلّ شيء لامهُ ويتناساه في تلك المدة الزمنية، ويجعل الليل زمانًا يوافق مايمرّ بهِ كمن يسكر؛ ليخرج براحة تامة بعد عناء طويل.وقوله:

عُذرُ الهَوى عِندَ العَذولِ رَشا*** فَاليَومَ حُبّي فيهِ حينَ نَشا
شَقَّ الظَلامَ البَدرُ حينَ بَدا*** وَاِهتَزَّ غُصنُ البانِ حينَ مَشى
يَسقيكَ مِن خَمرٍ بِمُقلَتِهِ*** كَأساً يَزيدُكَ شُربُهُ عَطَشا(٣٦)

هنا قد أبدع ابن المعتز في تصويره الشعري، يقول: منذ أن رشا حبي تحررتُ من قيود العذول؛ بسبب عذر الهوى الذي لازمني طوال مدة الغزل وكأنه يقول: لقد انجلى ظلام اللوم بالحب الصادق العفيف، وتغيّرت الأحوال إلى الأفضل، وفي البيت الثالث يشبّه تلك العين الجميلة الساحرة بخمر حين يُدمنها شاربها، مهما نظرتَ إليها وشبعتَ منها؛ فإنك ستعود إليها مرات ومرات حتى وإن أدمنتها.وقوله:

أَكثَرتَ يا عاذِلي مِنَ العَذَلِ*** إِنّي عَنِ العاذِلينَ في شَغَلِ

أَحسَنُ مِن وَقفَةٍ عَلى طَلَلٍ*** وَمِن بُكاءٍ في إِثرِ مُحتَمِلِ

كَأسُ مُدامٍ أَحظَيتُ فَضلَتَها*** كَفَّ حَبيبٍ وَالفِعلُ مِن قِبَلي

في مَجلِسٍ حُثَّتِ الكُؤوسُ بِهِ*** فَالقَومُ مِن مائِلٍ وَمُنجَدِلِ

يَطوفُ بِالراحِ بَينَهُم رَشَأٌ*** مُحَكَّمٌ في القُلوبِ وَالعَقلِ

أَفرَغَ نوراً في قِشرِ لُؤلُؤَةٍ*** تُجَلُّ عَن قيمَةٍ وَعَن مِثلِ

يَكادُ لَحظُ العُيونِ حينَ بَدا*** يَسفِكُ مِن خَدِّهِ دَمَ الخَجَلِ(٣٧)

يخاطب ابن المعتز العاذلَ بصريح العبارة قائلا: لقد أكثرتَ ياعاذلي من اللوم ولم تدرِ أني في وادٍ وأنتَ في وادٍ آخر، فإني أحسن على الآثار القديمة في وقفة ومن بكاء من ذلك الأثر، فحظيت بكفّ الحبيب الذي دومًا ماأتمناه جنبي , ثم يعرج ابن المعتز إلى التشبيه كعادته بكؤوس الخمر التي تدور حول مدمنيها؛ لأنهم يعشقونها حتى باتوا متمايلين فاقدين عقولهم من كثرة الإدمان؛ فيشبّه حاله بذلك الأمر.وقوله أيضا:

لي صاحِبٌ قَد لامَني وَزادا*** في تَركِيَ الصَبوحَ ثُمَّ عادا

وَقالَ لا تَشرَبُ بِالنَهارِ*** وَفي ضِياءِ الفَجرِ وَالأَسحارِ

إِذا وَشى بِاللَيلِ صُبحٌ فَافتَضَح*** وَذَكَّرَ الطائِرَ شَجوٌ فَصَدَح

وَالنَجمُ في حَوضِ الغُروبِ وارِدُ*** وَالفَجرُ في إِثرِ الظَلامِ طارِدُ

وَنَفَّضَ اللَيلُ عَلى الوَردِ النَدى*** وَحَرَّكَت أَغصانَهُ ريحُ الصَبا

وَقَد بَدَت فَوقَ الهِلالِ كُرَتُه*** كَهامَةِ الأَسوَدِ شابَت لِحيَتُه

فَنَوَّرَ الدارَ بِبَعضِ نورِهِ*** وَاللَيلُ قَد أُزيحَ مِن سُتورِهِ(٣٨)

ويتابع ابن المعتز قوله: لي صاحب ملازم لي يلومني، ويزيد في اللوم بأن أترك الصباح وألجأ إلى الليل الذي هو مأوى الشراب؛ فينهاه عن الشرب في النهار وأوقات الفجر والأسحار؛ فنشوة الشراب تظهر فائدتها في الليل؛ كي يستتب الوضع في هذا الوقت الرائع الذي يكون فيه بلوغ الذروة.ومما تقدم إن العاذل والخمرة يُجسدان الصراع الداخلي للشاعر بين الرغبة في الاستمتاع بالحياة والالتزام بالتقاليد الأخلاقية، كما تمثل الخمرة للشارعر الرمز للبحث عن المعنى أو الهروب من الفراغ الوجودي، والعاذل يُحاول مواجهة هذه الظاهرة بالنقد أو اللوم.

❖ **رابعا**: **العاذل والحكمة**: إن العاذل والحكمة في الشعر العربي يمثلان ثنائية عميقة تُبرز التوتر بين النقد الاجتماعي، أو الأخلاقي الذي يقدمه العاذل والشاعر الذي يتطلع إلى الحكمة أو يتأمل في الحياة، والعاذل باعتباره ناقدًا، يلعب دورًا في تحدي الشاعر أو الشخص المقابل حول قراراته وسلوكياته، بينما يسعى الشاعر إلى الحكمة كوسيلة لفهم أو تبرير تلك القرارات.إن العاذل يعكس الضغوط الخارجية التي تحاول توجيه الشاعر نحو الالتزام بالمعايير المقبولة أو التصرف بحكمته التي جاءت وفقاً لمفاهيم المجتمع أو الدين؛ فهي تُشير إلى الفهم العميق للحياة والقدرة على اتخاذ قرارات متبصرة تعكس تجربة ومعرفة واسعة، وبالتالي يمثل صوت النقد الذي يدفع الشاعر إلى التفكير في تصرفاته ومحاولة اكتساب الحكمة عن طريق التأمل في تجربته الشخصية أو الاجتماعية، ومن هذه المعاني قال الشاعر:

أَعاذِلَ لَيسَ سَمعي لِلمَلامِ*** عَفَفتُ عَنِ الغَواني وَالمُدامِ

وَبِنتُ عَنِ الشَبابِ فَلَيسَ مِنّي*** وَآخِرُ كُلُّ شَيءٍ لِاِنصِرامِ

رَأَيتُ الدَهرَ يُنقِصُ كُلَّ يَومٍ*** قُوى حَبلِ البَقاءِ وَكُلَّ عامِ

يُقَتِّلُ بَعضُنا بِأَكُفِّ بَعضٍ*** وَيُشحَذُ بَينَنا سَيفُ الحِمامِ

وَحَربٍ قَد قَرَنتُ المَوتَ فيها*** بِجَيشٍ يَهمُرُ الهَيجا لُهامِ(٣٩)

ينتقل ابن المعتز إلى غرض آخر وهو الحكمة، وهو إظهار الحقيقة المحضة على بكرة أبيها، ويبيّن الأحوال ويفسّرها بحسب فلسفتهِ ونظرته للحياة؛ فنراه يُكثر من الحكمة في هذه الأبيات؛ للوصول إلى تمام النتائج بالإعراض عن مجالس اللهو والذي يشمل الخمر والغواني والانتقال من مرحلة الشباب والطيش إلى مرحلة النضوج فإن الدهر يأكل العمر.ويعكس هذا الموضوع قدرة الشاعر على استيعاب النقد وتحويله إلى دافع للنمو الشخصي والتطور الفكري، وذلك عبر التعامل مع العذل واكتساب الحكمة، فتجد إظهار الشعراء جوانب متعددة من التجربة الإنسانية، مؤكدين على أهمية الحكمة في مواجهة النقد والتحديات الحياتية.وقوله أيضا:

عَذَلتُ بَني عَمّي وَطابَ بِهِم عَذلي* لَعَلَّهُمُ يَوماً يُفيقونَ مِن جَهلِ**

مُعافينَ إِلّا مِن عُقولٍ مَريضَةٍ* وَكَم مِن صَحيحِ الجِسمِ خِلوٍ مِنَ العَقلِ[٤٠]**

ويواصل ابن المعتز طريق إدراك الحكمة وهو يقول: لمتُ بنت عمّي حتى طاب بهم ذلك اللوم الذي لم يزل عالقًا بقلبي؛ لأخرجَ حقيقته ويرونه عينَ اليقين؛ ليشعروا بما أكنُّ لهم، ثمّ يرجوهم بأن يخرجوا من دائرة الجهل والمرض سالمين معافين؛ ليشهدوا حقيقة الأمر، وبعد ذلك يشبّه المعافين بـ بأصحاء الجسوم لكنّ عقولهم تخلو من العلم وثقافة المنطق الصحيح، وكلّ ذلك لايتوافق مع بعضه البعض ومما سبق إن سعي الشاعر نحو الحكمة ما هي إلا محاولة منه لفهمه أسباب تصرفاته لتحسين ذاته، فضلا عن إبراز رؤية عميقة للحياة والتجربة، متجاوزًا النقد المباش، وكذلك التوفيق بين رغباته الشخصية، والقيم الاجتماعية، أو الدينية التي يمثلها العاذل.

❖ **خامسا: العاذلة والشكوى والتنفيس عن المكامن الداخلية**: إن هذا الموضوع يعكس الصراع بين النقد الخارجي والضغوط الاجتماعية المُمثلة في العاذلة، وبين الاحتياجات النفسية الداخلية للشاعر للتعبير عن نفسه وتخفيف معاناته، وإن الدور الذي يلعبه العاذل يُجسد الصوت الناقد الذي يضع ضغوطًا على الشاعر للتوافق مع المعايير المقبولة، مما يدفع الشاعر نحو الشكوى والتنفيس عن مشاعره.والتنفيس هو ردة فعل للتعبير عن المشاعر الداخلية المكبوتة أو الضغوط النفسية، مما يوفر للشاعر فرصة لتخفيف التوتر النفسي واستعادة التوازن العاطفي، ولتجاوز الألم والمعاناة عبر إظهار مشاعره الحقيقية، وغالبًا ما يكون وسيلة للتحرر الشخصي، ومن هذه المعاني قال الشاعر:

مَن لِأُذني بِعَذولٍ* وَلِكَفّي بِشَمولِ**

قَهوَةٍ تَذهَبُ عَنّا * بِهُمومٍ وَعُقولِ**

اِستَعِن بِالراحِ يا صا * حِ عَلى اللَيلِ الطَويلِ**

قُل لِمَن يَبخَلُ عَنّي* بِقَليلٍ مِن قَليلِ**

بِسَلامٍ مِن كَلامٍ* وَبِلَحظٍ مِن رَسولِ**

هَل إِلى وَصلٍ وَإِلّا* فَسَلو هَل مِن سَبيلِ**

وَيحَ نَفسي مِن حَبيبٍ* ناقِضِ العَهدِ مَلولِ**

ظَبيُ إِنسٍ فاتِرِ الأَل* حاظِ ذي جَفنٍ كَحيلِ**

عَيَّروا عارِضَهُ بِال* مِسكِ في خَدٍّ أَسيلِ**

تَحتَ صُدغَينِ يُشيرا* نِ إِلى وَجهٍ جَميلِ**

عِندِيَ الشَوقُ إِلَيهِ* وَالتَناسي عِندَهُ لي**

فَلَقَد قُلتُ لِيَحيى* عِندَ تَقريبِ الحُمولِ**

إِنَّما يَنعَونَ نَفسي* إِذ تَداعَوا بِالرَحيلِ[٤١]**

تظهر معاني الشكوى والتنفيس عن المكامن الداخلية التي اعترته طوال مدة اللوم الذي تلقّاه؛ فإنه أراد أن يُنفّس عمّا يكنّ في صدره من آهات وآلام، وعبّر عن ذلك بالفنون البلاغية من استعارة مكنية ومجاز في شعرِهِ حتى جعله لوحة فنية رائعة؛ فإنه يصور ذلك بشرب القهوة التي ربما تعدّل مزاجه وهذه استعارة؛ فقد أراد بذلك أن يهدأ ويروّح عن نفسهِ، وربما يلجأ إلى التناسي محولًا حالته إلى صفحة جديدة وهي الشوق إلى أمر آخر يشدّه على الخلاص من أزمة عكّرت مزاجه؛ ليحيا من جديد تاركًا خلفهُ الآثار التي كدّست عليه الأعباء؛ فهو يريد أن يتحرر من عبودية العذل وقساوته المريرة .وقد أظهر ابن المعتز رفضه للوم العاذلة عبر الشكوى، مما يعكس احتجاجه على الضغوط الاجتماعية أو محاولته للدفاع عن خياراته.وقوله أيضا:

أَطَلتَ وَعَذَّبتَني يا عَذولُ* بُليتُ فَدَعني حَديثي يَطولُ**

هَوايَ هَوىً باطِنٌ ظاهِرٌ* قَديمٌ حَديثٌ لَطيفٌ جَليلُ**

فَما بالُ ذا اللَيلِ لا يَنقَضي* كَذا لَيلُ كُلِّ مُحُبِّ طَويلُ**

أَبيتُ أُساهِرُ بَدرَ الدُجى* إِلى الصُبحِ وَحدي وَدَمعي يَسيلُ[٤٢]**

تجد الأساليب البلاغية في هذه الأبيات لغرض التنفيس عن حالتهِ؛ فنراه يُكثر من البديع والبيان، وهذا من أصول أسلوبه البلاغيّ؛ فمن البديع استعمال طباق الإيجاب والذي يتمثل في المفردات (باطن وظاهر)، و (قديم وحديث)، فضلًا عن الاستعارة والتشبيه في (أبيت أساهر الدجى)؛

فتتجلى عبقريته بهذه الأساليب، وهو يعبّر عن الحالة التي أضنته عمّا يلجأ إليه؛ فهو يتعذب ويُبتلى جرّاء ماحصل له من اللوم الذي أطال حديثه عنهُ، ويصف هواه بالتناقضات وهو يتألم من الليل الطويل الذي تكثر فيه شكواه معبّرًا عن انتقاله إلى مرحلة جديدة؛ رافضا مسامرة بدر الظلام؛ بسبب معاناته التي طالت حتّى أوصلته إلى البكاء الذي قد يكون أحد أسباب رؤية الصباح المشرق بعد سجون الليل الموصودة .إن العاذلة والشكوى والتنفيس عن المكامن الداخلية في شعر ابن المعتز تُعبر عن الصراع بين النقد الاجتماعي أو الأخلاقي والرغبة الشخصية في التعبير عن الذات، وقد استعمل الشكوى والتنفيس كوسيلتين للتعامل مع النقد والتعبير عن مشاعره الداخلية، مما يُبرز جوانب معقدة من التجربة الإنسانية، وقد تعامل مع العذل والنقد بطرقية إبداعية تعزز فهمه للحياة ولذاته.

❖ **سادسا: العاذلة للخروج عن المألوف:**

يقول عباس رشيد هو: ((اختراق مثالية اللغة والتجرؤ عليها في الأداء الإبداعي، بحيث يفضي هذا الاختراق إلى انتهاك الصياغة التي عليها النسق المألوف والمثالي، أو إلى العدول في مستوى اللغة الصوتي والدلالي عما يليه هذا النسق)) [٤٣]. إن الخروج عن المألوف يُعبر عن حاجة الشاعر للتعبير عن ذاته بطرق جديدة، مما يبرز قدرته على الابتكار والإبداع، فتجده يسعى لتجديد الأفكار والأساليب الشعرية، وتجاوز الأنماط التقليدية التي تُحاول العاذلة الحفاظ عليها، ومن هذه المعاني قوله:

كَم لِيَ مِن عَذولٍ* بِتُّ لَهُ عَذولا**

فَرَّقَ لي وَأَمسى* عَلى الهَوى دَليلا**

وَصارَ لي رَسولا* وَتَرَكَ الفُضولا**

وَقادَ لي حَبيبي* وَلَم يَكُن ثَقيلا[٤٤]**

قد يخرج الإنسان عن حالته في بعض الأحيان؛ نظرًا لتعدّد مايواجه؛ فيكلّ ويملّ تكرارَ مايعاني من ضربات الأقدار المتوالية، ونجد ابن المعتز يجسّد كلّ ذلك في أبياتهِ؛ فهو يقابل العذلَ بالعذل أحيانًا، وتارةً يفرّق وتارةً يصبح عاذله رسولًا، وتارةً يترك الفضول، وتارةً يكون خفيف الظلّ، وإذا ما أمعنا النظر في أبياته وجدنا هناك معانيَ يسودها الانفصال وعدم ترابط الفقرات المعنوية، وهذا دليل على أنه خرج عن المألوف .ومما سبق يعد هذا النوع هو تعبير عن وصف الشخصية أو الصوت النقدي الذي يُعارض الأفعال أو الأفكار التي تتجاوز المعايير الاجتماعية أو الأخلاقية المعتادة، وهذا المفهوم يُجسد التوتر بين رغبة الشاعر في التجديد والخروج عن القيود التقليدية، وبين العاذلة التي تُحاول قمع هذه الرغبة للحفاظ على المعايير السائدة.

الخاتمة

بهدي من دراسة (العاذلة في شعر ابن المعتز_ دراسة وصفية تحليلية_) يمكننا أن نضع أهم النتائج التي أسفرت عنها:

١. إن للعاذلة دور مهم في نقد الظواهر الاجتماعية السلبية في العصر العباسي.

٢. إظهار مكانة المرأة وتحديات العاذلة للشاعر.

٣. لقد جسّد صورة ذلك اللوم بالفنون البلاغية من تشبيهات واستعارات والجناس والطباق فضلًا عن استعماله أساليب الطلب والخطاب بكثرة؛ نظرًا لمعاناتهِ الطويلة التي أثمرت استخراج مكامنه الداخلية على شكل مفردات جاعلًا الخيال حقيقةً مزجاة مع استعماله الطبيعة مترجمها الى واقع ملموس محسوس.

٤. إن العاذلة هي الصوت الآخر الذي يستحضره الشاعر؛ ليحاوره وهو بمثابة النفس اللوامة له.

٥. يلحظ في هذه الظاهرة أن ابن المعتز كان رافضا للوم العاذلة عبر الشكوى، مما يعكس احتجاجه على الضغوط الاجتماعية أو محاولته للدفاع عن خياراته.

٦. عمل ابن المعتز على إبراز رؤية عميقة للحياة والتجربة، متجاوزًا النقد المباشر، وكذلك التوفيق بين رغباته الشخصية، والقيم الاجتماعية، أو الدينية التي يمثلها العاذل.

٧. لقد استعمل ابن المعتز العذل كأداة درامية؛ لإثارة المشاعر والتوتر في القصيدة، مما يجعلها أكثر تشويقًا وعاطفية في الغزل.

المصادر والمراجع

١. أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت: ٣٣٥هـ)، مطبعة الصاوي، ١٩٣٦ ، ص١٠٧.

٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ ، ٢٠٠٢ م، ج٤، ص١١٨.

٣. آفاق في الأدب والنقد، عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٠.

٤. الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ، عباس رشيد الددة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م، ص١٥.

٥. البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط١، ١٩٩٠م، ص٧.

٦. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٨٨ م، ج٢،ص ٢١٦.

٧. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، ط٤، ١٩٨٣، ص١٢٠.

٨. التفسير النفسي للأدب، عزالدين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٠، ص٣٦ .

٩. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م، ج١، ص٧.

١٠. دراسات في الشعر العربي القديم، بهجت عبد الغفور الحديثي، مطابع التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠

١١. ديوان ابن المعتز، عبد الله بن محمد المعتز باللّه بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس (ت ٢٤٧هـ)، دار بيروت، د.ت، د.ط، ص٥.

١٢. الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، [ينسب لـ]عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، المحقق: د إلهام عبد الوهاب المفتي- كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ٢٠٠٠ م ، ص١٩٦.

١٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٩٨٧ م، ج٥، ص١٧٦٢.

١٤. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٢، ص٩٩.

١٥. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣ - ١٤١٤ هـ، ج١١، ص٤٧٣.

١٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، : دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٤، ص ٢٨٥.

هوامش البحث

---

(1) ينظر: دراسات في الشعر العربي القديم، بهجت عبد الغفور الحديثي، مطابع التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠، ص٨٨، ٩٠.

(2) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ ، ٢٠٠٢ م، ج٤، ص١١٨.

(3) ينظر: ديوان ابن المعتز، عبد الله بن محمد المعتز باللّه بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس (ت ٢٤٧هـ)، دار بيروت، د.ت، د.ط، ص٥.

(4) ينظر: المصدر نفسه.

(5) ينظر: الأعلام، الزركلي، ج٤، ص١١٨.

(6) ينظر: البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط١، ١٩٩٠م، ص٧.

[٧] ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، ط٤، ١٩٨٣، ص١٢٠.

[٨] خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م، ج١، ص٧.

[٩] ينظر: ديوان ابن المعتز، ص٦.

[١٠] ينظر: المصدر نفسه.

[١١] المصدر نفسه.

[١٢] ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، ج١، ص١٩.

[١٣] أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت: ٣٣٥هـ)، مطبعة الصاوي، ١٩٣٦ ، ص١٠٧.

[١٤] أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، أبو بكر الصولي ، ص١١٦.

[١٥] المصدر نفسه.

[١٦] المصدر نفسه.

[١٧] البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)
المحقق: د/ وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٨٨ م، ج٢،ص ٢١٦.

[١٨] البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، ج٣،ص ص٥٣.

(١٩) الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، [ينسب لـ]عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، المحقق: د إلهام عبد الوهاب المفتي- كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ٢٠٠٠ م ، ص١٩٦.

[٢٠] العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٢، ص٩٩.

[٢١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٩٨٧ م، ج٥، ص١٧٦٢.

[٢٢] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، : دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٤، ص ٢٨٥.

[٢٣] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ، ج١١، ص٤٧٣.

[٢٤] التفسير النفسي للأدب، عزالدين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٠، ص٣٦ .

[٢٥] آفاق في الأدب والنقد، عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٠، ص١٨

[٢٦] ديوان ابن المعتز، ص١٠٠.

[٢٧] ديوان ابن المعتز، ص٣٨٠.

[٢٨] المصدر نفسه، ص٢٠٥.

[٢٩] ديوان ابن المعتز، ص٤٢٣.

[٣٠] المصدر نفسه، ص٣٨٢.

[٣١] ديوان ابن المعتز، ص٣٧٠.

[٣٢] المصدر نفسه، ص٢١١.

[٣٣] ديوان ابن المعتز، ص٥١.

[٣٤] ديوان ابن المعتز، ص١١١.

[٣٥] ديوان ابن المعتز، ص٢٦٩.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٢٨٠.

(٣٧) ديوان ابن المعتز، ص٣٨١.

(٣٨) المصدر نفسه، ص٤٧٣.

(٣٩) ديوان ابن المعتز، ص٣٩١.

(٤٠) ديوان ابن المعتز، ص٣٨٦.

(٤١) ديوان ابن المعتز، ص٣٧٩.

(٤٢) ديوان ابن المعتز، ص٣٧٢.

(٤٣) الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ، عباس رشيد الددة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م، ص١٥.

(٤٤) ديوان ابن المعتز، ص٣٧٢.